من التراث الخالد لمعلم الأجيال

الكتاب التاسع: كانت الساعة تقترب

الناشر: المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت

http://copticlibrary.blogspot.com

تاريخ النشر: ابريل ٢٠١٢م

مثلث الرحمات

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ال ١١٧

هذه السلسلة

تقدم المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت لقرائها الأعزاء في هذه السلسلة بعضاً من التراث الخالد لمعلم الأجيال وذهبي فم القرن العشرين والحادي والعشرين مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث. الذي أثرى حياتنا، وحياة الملايين من محبيه عبر الأجيال بأقواله وتعاليمه وحياته، فكان مصباح منير، بل شمس ساطعة أضاءت بقوة عالمنا الذي يحتاج دوما إلى قدوة صالحة تسير على هدى السيد المسيح وتتبع خطواته في الحب والبذل والاتضاع.

وكتابنا التاسع في هذه السلسلة عبارة عن مقال بعنوان «كانت الساعة تقترب» نشره الأستاذ نظير جيد في مجلة مدارس الأحد عدد شهر يناير سنة ١٩٥٠م.

نصلي إلى الرب أن ينيح روحه الطاهرة في ملكوت السموات وأن يمتعنا ببركه صلاته عنا.

المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت -إبريل ٢٠١٢م

كانت الساعة تقترب

الوعد

انتقل بك يا أخي العزيز إلى الجنة. هوذا آدم قد أخطأ. والله قد وقف يلقي بحكم العدل الرهيب «موتاً تموت» ولكن في نفس هذا الوقت يعلن الله الرحوم جداً وعده بتخليص آدم وحواء فيقول لهما إن نسل المرأة سيسحق رأس الحية. ومنذ هذه اللحظة يبدأ الله في إعداد طريق الخلاص أمام آدم وامرأته ونسله.. ولكن ها هم أولاد آدم يستغرقون في الشر ويبعدون كل البعد عن الله ويتخذون لهم آلهة غيره ويرى الله أنه محتاج أن يعلم الناس أولاً طرق الخلاص قبل أن يأتي ابن الإنسان.. عليه أن يفهمهم فكرة الذبيحة، وأن يعطيهم فكرة واسعة عن التجسد وعن صفات ذلك الآتي..

فكرة الذبيحة

نسمع أن هابيل الصديق قد قدم ذبيحة من أبكار

غنمه، ولكن ممن تعلم هابيل هذا العمل؟ لا شك أنه عرفه عن أبيه آدم، وممن عرف آدم؟ إن الجواب على هذا واضح جداً في سفر التكوين. يقول الوحي الإلهي «وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما» هذا الجلد حصل عليه الله من ذبيحة دون شك. وهكذا أخذ آدم هذه الفكرة. فكرة الخطيئة والعري مقرونة بالذبيحة لإخفاء هذا العري. وعرف عن آدم ابنه هابيل ثم بدأت البشرية جمعاء تتعلم أنه بدون سفك دم لا تحدث مغفرة (عب ٩: ٢٢).

نسمع أن نوح قد قدم ذبيحة. ولكن الرب يريد أن يعلم الناس فكرة أدق وأوسع عن الذبيحة الإلهية. هنا نرى قصة ابراهيم: يقول له الله «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه نفسك وقدمه لي محرقة». إن البشرية تتعلم الآن أن تكون الذبيحة هي الابن الوحيد المحبوب.. ويقدم ابراهيم ابنه ويرفع السكين ولكن الله يعلمه تعليماً جديداً وهو أن الذبيحة

سوف لا تكون ابنا بشرياً وإنما ذبيحة مرسلة من الله مباشرة فيلتفت ابراهيم فيجد خلفه خروفاً من الله هو رمز للمسيح.

إن ذبيحة الابن الوحيد المحبوب المرسل من السماء هي التعليم الذي أراد الله البشرية أن تفهمه..

وهكذا انتشرت فكرة الذبيحة فعرفها اسحق ثم ابنه اسرائيل ثم بنو اسرائيل جميعهم وقيمت لله المذابح وعلمهم الله تعليماً هاماً على يد موسى وهو أن تكون الذبيحة بلا عيب. إن هذه صفة لا توجد إلا في المسيح.

عرف شعب الله فكرة الذبيحة وقدموها عن خطاياهم وأصبحت جزءاً هاماً من عقيدتهم تمهيداً لطريق الخلاص. لذلك لم يكن غريباً عليهم فيما بعد أن يحدثهم بولس في سفر العبرانيين عن المسيح كذبيحة، أو أن يحدثهم بطرس عن دم يسوع المسيح في أول رسالته..

بل أن أمر الذبيحة قد عرفه العالم الوثني كله تمهيداً

أيضاً لقبول فكرة الخلاص. لقد انتظر الله حتى علم الذبيحة الكفارية لليونان والرومان والهنود و الفرس.. وحتى العرب أيضاً عرفوها فقبيل الإسلام كان عبد المطلب زعيم قريش على وشك أن يقدم ذبيحة في الكعبة هي ابنه عبد الله (أبو محمد)..

ذلك الآتي

أراد الله ايضاً كما قلنا أن يعطي الناس فكرة عن المسيح قبل أن يأتي. وهكذا نجد أن حياة المسيح تقريباً مسطرة بأجمعها في العهد القديم. قال لهم أنه سيولد من عذراء، وإنه سيدعى يسوع لأنه سيخلص شعبه من خطاياهم، وانه سيكون ناصريا، وانه سيولد في بيت لحم، وسيهرب إلى مصر.. وحتى صلب المسيح وبيعه وتثقيب يديه وقدميه واقتسام ثيابه والاقتراع على قميصه وصلبه وعذاباته وموته وقيامته.. كل ذلك موجود في العهد القديم: إما في نبوات صريحة، وإما في

أشخاص أو أشياء كانت جميعها رموزاً لذلك الآتي.. بل كانت في الوثنية أيضاً رموز و مشابهات تعطيهم فكرة عن المسيح..

نقل البشارة إلى العالم الوثني

رأينا أن بني اسرائيل قد آمنوا بفكرة الذبيحة الكفارية وعملوا بها، ورأينا أنهم أخذوا فكرة عن السيد المسيح وحياته وموته وقيامته، بقى قبل مجئ المسيح، أن ينتشر ذلك كله في العالم الوثني حتى يستعد هو أيضاً.

وهكذا نرى أن يوسف يذهب إلى أرض مصر ويتبعه أخوته بنو اسرائيل ويعيش جميعهم هناك مدة طويلة هم وأنسالهم، ويقدمون الذبائح ويتعلم منهم المصريون، ثم يخرج هذا الشعب إلى أرض الموعد ويقيمون هناك وتقيم معهم عقائدهم وتنتشر، ثم يذهب هذا الشعب إلى بلاد أخرى ناقلاً معه أفكاره وعقيدته الدينية. وتحدث حادثة السبي ويظنها اليهود تجربة أليمة فيبكون وهم جلوس على أنهار بابل، ولا

يدرون أن الله الذي يخرج من الجافي حلاوة يستخدم السبي أيضاً في نشر تعاليمه وديانته. فإذا بالإسرائيليين في تلك البلاد يعلمون أهاليها تعاليم الله عن طرق مباشرة وغير مباشرة، وإذ بالوثنيين يعجبون بأغاني شعب الله ويطلبون إليهم أن يسمعوهم شيئاً من أغانيهم.

ويتشتت اليهود في أراض كثيرة حاملين معهم التوراة وفيها ما فيها من رموز للمسيح وهكذا نجد أن بني اسرائيل قد ذهبوا بوعود الله في الفداء إلى فلسطين ومصر وبابل وما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتس وآسيا وغلاطية وبثينية وفريجية وبمفيلية ونواحي ليبيا والقيروان وبلاد الرومان وكريت وشبه الجزيرة العربية واتصلوا بالفريتيين والماديين والعلاميين.. (أع ٢: ٩ - ١٢).

أترى معي يا أخي العزيز أن فكرة الفداء وأوصاف المسيح والرموز التي ترمز إليه قد انتقلت إلى أغلب بلاد العالم

وقتذاك وأثرت في أهاليها، ولكن ذلك لا يكفي بل يحدث أكثر منه.. يحدث أن بطليموس فيلادلفيوس (الثاني) يترجم العهد القديم إلى اللغة اليونانية وهي اللغة العالمية في ذلك الحين. قيل إنه ترجمها لكي يزود بها مكتبة الاسكندرية، وقيل إنه فعل ذلك إرضاء لجارية يهودية يحبها، وقيل غير ذلك، ولكني أقول ان ترجمة التوراة كانت خطوة من خطوات ملء الزمان فقد بدأ العالم الوثني يقرأ الناموس والأنبياء ويتفهم وأصبح يستعد ويتهيأ حتى إذا ما جاء المسيح وتم فيه كل المكتوب لا يتقبله باستغراب..

إعداد الأمم

رأى الله أنه قبل تجسده عليه أن يعد الأمم الوثنية إعداداً كافياً يمكنهم من قبول الخلاص فانتظر الله حتى أخذ العالم يؤمن بوجود إله خالق للكون والناس، وحتى آمن بالحساب والثواب والعقاب والجنة والنار. ولكن كل ذلك لم يكن

كافياً.. بقيت فكرة التوحيد والتثليث والتجسد. كان يجب أن يفهم العالم كل هذا قبل أن يأتي المسيح.

أما عن التوحيد فقد أخذ العالم يعتقد بوجود إله كبير، أكبر من الآلهة الأخرى بل يعتبر مصدراً كل شيء. نرى هذا في زيوس كبير آلهة اليونان، وجوبتر كبير آلهة الرومان، ورع كبير آلهة مصر، وبراهما كبير آلهة الهند. بل نرى أكثر من هذا أن أخناتون يقوم في مصر لينادي بالإله الواحد آتون، وإن كان قد فشل سياسياً إلا أنه ترك أثراً في العقل الباطن للأمة المصرية ومن استطاعت أن تؤثر فيه هذه الأمة...

ثم تنتظر البشرية فإذا بالقرن الخامس قبل الميلاد يقدم لليونان فلاسفة ينادون بالإله الواحد وتنتظر البشرية أيضاً خمسة قرون أخرى حتى تنتشر كثير من هذه الآراء في أرجاء الدولة الرومانية التي سيطرت تقريباً على العالم وقتذاك.

ثم انتظر الله حتى آمن العالم بفكرة التجسد فقد آمن

المصريون واليونانيون بإمكانية حلول الله في جسد بشري وإمكانية قتله وقيامته. نرى ذلك في قصة الإله أوزوريس المصري والإله ديونسيوس اليوناني، كلاهما قتل ومات وقام ليصير دياناً للناس.

أما فكرة التثليث فقد ظهرت في عقائد مصر والهند واليونان.. أليس في كل هذا تمهيد للعالم لقبول المسيحية.

بقيت هناك خطوة أخرى تختص بتعلق الوثنين بآلهتهم. كان الرومان يعتقدون بأن آلهتهم تسكن جبال اوليمبوس. ثم إذ بهم يصعدون هناك ولا يجدون الآلهة فيتشككون فيها. وإذا باليونان أيضاً يأخذون في احتقار آلهتهم لما بينهما من تخاصم وقتال، وما لها من صفات رديئة فهناك آلهة للخمر والرقص والدعارة، آلهة تكذب وتسرق وتقتل وتفسق..

وهكذا وجدنا أنه رغم تعدد الآلهة يقيم البعض تمثالاً لإله مجهول. أليست هذه خطوة واسعة تدل على حاجة الناس

إلى إله، أستطاع أن يستغلها بولس فيما بعد.

ومن الناحية الاجتماعية أيضاً كان لابد من التدرج في تعليم الناس المبادئ السامية.. وهكذا نرى في القرون الخمسة التي سبقت الميلاد تظهر تعاليم جديدة في كثير من نصوصها جمال وسمو كبعض آراء لكنفوشيوس وبوذا والبراهما والرواقيين..

ولكن ذلك الجمال في التعليم كانت تنقصه القوة الدافعة. كان الضمير الإنساني يرى آفاقاً من الخير ولا يستطيع الاقتراب منها. تعوزه مواهب الروح القدس التي تشجعه وتدفعه، فلما رأى في المسيحية هذه القوة اندفع نحوها اندفاعاً.

ولكن إعداد الأمم كان ينقصه أمور أخرى منها اللغة العالمية للتفاهم، والطرق المعدة للانتقال، والأمن والقانون لتيسير ذلك أيضاً.. وهكذا في السنة الثلاثين قبل الميلاد كانت الدولة الرومانية قد انتشرت في العالم كله تقريباً ونشرت معها

اللغة اليونانية العامة والطرق والقوانين الرومانية وأصبح الانتقال متيسراً للكارزين. نقول هذا لأن الله يحب السير الطبيعي، ولا يريد استخدام المعجزات إلا لغاية معينة.

إعداد اليهود

أعد الله كل النبوات والرموز التي تمهد لشعبه معرفة المسيح. ولكن ذلك الشعب كان صلب الرقبة لا يتوجه إلى الله إلا محتاجاً، فانتظر الله عليه حتى ينضج. وهكذا سبى اليهود على يد الأشوريين والبابليين فعذبوهم، كما عذبهم اليونان والرومان أيضاً، وكان من أشد المضطهدين أنطيوخس الرابع الذي خرب أورشليم وحرق الكتب المقدسة، وقتل وسبى، وقدم على المذبح خنزيراً، ومنع تقديس السبت والختان..

وحتى في حالتهم الداخلية كانوا ضعفاء منقسمين، يتطاحنون تنافساً على الملك أو رئاسة الكهنوت، وفي العقائد الدينية انقسموا بين كتبة وفريسيين وصدوقيين وفسروا

الكتاب حسب أهوائهم. وصار واضحاً أنهم في حاجة إلى مخلص ومعلم، وهكذا انتظروا المسيا، وكانوا يتوقعون ظهوره كما يتضح من سؤالهم للمعمدان هل هو المسيح (يو ١: ٢٠) ومن قول السامرية «نحن نعلم أن المسيا الذي يقال له المسيح يأتي، فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء» (يو ٤: ٢٥).

الساعة تقترب

ها نحن نرى أن الله قد علم الناس فكرة الفداء، وأعطهم صورة واضحة للمسيح. بنبوات ورموز، وانتظر حتى انتقلت هذه الأفكار إلى الأمم، وحتى تهيأ اليهود وانتظروا المخلص. وحتى تهيأ الأمم أيضاً وانتظروا الإله المجهول. كان كل ذلك يحدث في وقت واحد وكانت كل الأمور تتحد معاً وتتعاون في إعداد طريق الخلاص.. وهكذا كان يعمل الله في صمت. لم يبق أمامه إلا إعداد العذراء التي تحمله، ويوسف الذي يتعهدها، ويحنا الذي ينير الطريق.. كانت الساعة تقترب.

وإذا بيواقيم ينجب ابنه يسميها مريم.. ويخيل إلى أن اعداد هذه الأم كان أهم في كل شيء. وكانت باقي الأمور ثانوية، كان الله يعد العدة لولادة مريم منذ خطيئة آدم.. وأخذت مريم الطفلة تكبر والساعة تقترب ثم ظهر الملاك لزكريا يبشره بولاده يوحنا ثم ظهر الملاك لمريم..

وأخيرا..

في ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة كشبه الناس...

المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الأنترنت
http://copticlibrary.blogspot.com